الزعيم فى المنفى

obeikandl.com

فى جزيرة سيلان

أقام عرابى وزملاؤه الستة فى جزيرة "سيلان" وكانت حياتهم فى المنفى حياة ألم وحزن، وبؤس وشقاء.. إذ انقطعت صلتهم بالناس، وطال اغترابهم عن الوطن، وبعدت الشقة بينهم وبين أهلهم وذويهم، ولم يكترث لهم أحد، ولم يعطف عليهم أحد.

وجادت قريحة البارودى بشعر مؤثر فى الحنين إلى الوطن والحزن لفراقه، مما يعد آية فى البلاغة، ويدلنا على مبلغ ما عاناه المنفيون من الآلام، وهو وأن كان يصور آلان نفسه وما يجيش به صدره، لكنه فى شعره يصور لنا حالة الزعماء المنفيين من العرابيين عامة.

قال يصف الرحيل عن أرض الوطن:

محا الين ما أبقت عيون المها منى

فشبت ولم أقض اللبانة من سنى

عناء ويأس واشتياق وغربة

ألا شد ما ألقاه فى الدهر من غبن

فإن أك فارقت الديار فلى بها

فؤاد أضلته عيون المها عنى

بعثت به يوم النوى أثر لحظة

فأوقعه المقدور فى شرك الحسن

إلى أن قال:

ولما وقـــفنا للوداع وأســـبلت

مـــدامـــعنا فـــوق التـــرائب كـــالمزن

أهبت بصـــبـــرى أن يعـــود فـــبـــزنى

وناديـت حلمى أن يـثـــوب فلم يـغن

ومـــــا هـى إلا خطـرة ثم أقـلعـت

بنا عن شـطوط الحى أجنحـة الســفن

فكم مـهجـة من زفرة الشـوف فى لظى

وكم مـــقلة من غـزرة الـدمع فى دجن

ومـــا كنت جـــربت الـنوى قـــبل هذه

فلمـا دهتنـى كـدت أقـضى من الحـزن

ولكـننـى راجـــــعت حـلمـى وردنى

إلى الحـــــزم رأى لا يحـــوم عـلى أفن

ولولا بـنيـــــات وشـــيب عـــــواطل

لما قـــرعت نفـــسى على فـــائت سنى

وتعاقبت السنون على عرابى وزملائه فى منفاهم بتلك الجزيرة النائية.. فـضـاقت صـدورهم لطول الغـربـة، وعـدم العـمل إطلاقـا، وراءة المناخ، وافتقـارهم لمن يعطف عليهم أو يسأل عنهم، فساءت لـذلك حالتهم المعنوية، ووقع الخصام بينهم.. وأقبل بعضهم على بعض يتلاومون، وبدأ الخصام أول ما وقع بين عرابى وطلبة وعبد العال.

وفى سنة ١٨٩٠ انتقل محمود باشا سامى البارودى بعائلته بعد أن تزوج من كريمة يعقوب سامى باشا إلى مدينة "كندى" التى تبعد ٧٤ ميلا عن كولومبو. وترك عرابى وبقية زملائه بكولومبو متنافرين متخاصمين، وتبعد يعقوب سامى باشا وقطن كندى.. وكذلك فعل طلبة باشا عصمت، وفى سنة ١٨٩٢ إليها عرابى ثم على باشا فهمى.

مصير عرابى وزملائه

توفى عبد العال باشا حلمى يوم ١٩ مارس سنة ١٨٩١ بكولومبو ودفن بها. وذهب محمود باشا فهمى إلى كندى - عاصمة الجزيرة - لتدبيل الهواء.. وهناك أدركته الوفاء ليلة ١٧ يوليه سنة ١٨٩٤ ودفن بها.

وفى فبراير سنة ١٩٠٠ رخصت الحكومة المصرية لطلبة باشا عصمت بالعودة إلى مصر إذ ساءت صحته. وقررت جمعية من الأطباء أنه إذا لم يعد إلى بلاده فإنه لا يعيش أكثر من خمسة أشهر، وصادق على هذا القرار حاكم الجزيرة. فعاد إلى مصر، ولكنه لم يعض أكثر من المدة التى توقعها الأطباء، توفى فى ذلك العام ودفن فى قرافة الإمام الشافعى وفى شهر أكتوبر سنة ١٩٠٠ توفى يعقوب باشا سامى ودفن بجوار قبر محمود باشا فهمى بكندى، وكان قد صدر العفو عنه ورخص له بالعودة إلى مصر، ولكن وفاة القدر قبل أن يبلغه الحاكم أمر العودة.

وأصيب محمود باشا سامى البارودى بارتشاح فى القرنيتين أفقده عينيه.. وقررت جمعية الأطباء لزوم عودته إلى مصر لمعالجته فى المناخ الذى ولد فيه وألفه. وصداق على ذلك حاكم الجزيرة، فأصدر الخديو عباس حلمى الثانى أمر بعودته إلى مصر. فوجع فى شهر سبتمبر سنة ١٩٠٠، وعفا عنه

عرابى باشا بعد عودته من المنفى

الخديو ومنحه حقوقه المدينة ورد إليه أملاكه الموقوفة وحصل على متجمد ريعها من ديوان الأوقاف، ولكن لم يعد إليه بصره، وتوفى فى ١٢ ديسمبر سنة ١٩٠٤ .

وفى ١١ يونية سن ١٩٠١ صدر عفو الخديو عباس أيضا عن عرابى وعلى فهمى. . فبارح على باشا فهمى الجزيرة فى شهر أغسطس سنة ١٩٠١ وجاء القاهرة فى أول سبتمبر. . وجاءها عرابى فى اول أكتوبر سنة ١٩٠١، وكانت البلاد تغلى سخطا على الاحتلال وسياساته لما بدا من الحكومة البريطانية من نقض عهودها فى الجلاء ووضع يدها على حكومة البلاد ومرافقها.

وكانت عودة عرابى بوساطة الإنجليز، وإدلاؤه بعد رجوعه بتصريحات فيها تأييد للاحتلال وسياساته، سببا فى استقبال الأمة له بالفتور والسخط. وبدا الفرق بينه وبين البارودى من الناحية. . فقد لزم البارودى العزلة بعد عودته وامتنع عن الخوض فى الأحاديث السياسية. وكان ذلك منه عين الحكمة والصواب، أما عرابى فقد جلب على نفسه بأحاديثه سخط الصحافة والرأى العام، وكانت وفاته رحمه الله يوم ٢١ سبتمبر سنة ١٩١١.

شخصية عرابى

فى شخصية عرابى تجتمع المحاسن والأضداد. . ولقد كان لكل منهما أثره فى الدور الذى قام به فى تاريخ مصر الضخية الكبيرة أن نعرف مزاياها ونقائصها، أو ما لها وما عليها. .

إذا حللنا شخصية عرابى نجد أنه كان بلا نزاع ذا شخصية قوية جذابة تؤثر فى الأفراد والجماعات. . فله من هذه الناحية أخص صفات الزعماء.

ولولا هذه الموهبة لما استطاع أن يجتذب إليه محبة ضباط الجيش وجمهرة الأمة، وينال ثقتهم ويملى إرادته عليهم، وكانت له أيضا موهبة الكلام والخطابة والصوت الجهورى. وهذه أيضا من مزايا الزعماء التى تحببهم إلى نفوس الجماهير.. وقد كان لخطبة تأثير السحر فى نفوس سامعيه. وكان بلا مراء يريد الخير لبلاده، ويريد لها الحرية والاستقلال. وعلى هذا الأساس قامت دعوته.

وعلى أنه إلى جانب لم يكن على حظ كبير من الكفاية السياسية وبعد النظر.. ومن هنا جاء شططه فى كثير من المواطن، وعدم تقديره للأمور وملابساتها. وعرابى معذور فى ذلك لأنه لم ينل حظا كبيرا من الثقافة والألمام بشؤون السياسة وأطوارها.. فهو لا يعدو أن يكون ضابطا تحت السلاح، لم يتخرج فى المدارس الحربية ولا المدنية. ولم يعلم نفسه بنفسه تعليما ناضجا، ولم يكن له من العبقرية ما يغنيه عن الدرس والإطلاع والتحصيل.

وكان علمه محدودا.. فقد تلقى فى الأزهر بعض قشور من العلوم الفقهية واللغوية، ولم يطل مكثه به أكثر من أربع سنوات. ولم يزد محصوله العلمى عن بعض الآيات الشريفة والأحاديث النبوية، استظهرها وتفهم معناها.. وبعض المطالعات الأدبية من آثار السلف الصالح، وكتابات الصحف الوطنية فى ذلك الحين.. وهذا المحصول لا يكفى لتكوين الرأس المدبر للتورات، القدير على تذليل المعضلات وحسن التصرف فيما يعرض على البلاد من أحداث وأزمات.

حقا إن كثيرا من الزعماء لم يكونوا فى محصولهم العلمى يزيدون على عرابى ومع ذلك نجحوا فى زعامتهم ودعوتهم.. فالظروف السياسية لها دخل

كبير فى نجاح الزعيم أو إخفاقه. وسنعرض فيما يلى الأسباب لأخفاق عرابى والثورة العرابية..

إن الفرق كبير بين عرابى وبين كافور كثلا فى إيطاليا، أو وشنطون فى أمريكا، أو كوشيسكو فى بولونيا، أو كوشوت فى المجر.. ولو وفقت الثورة العرابية إلى زعيم مثل كافور لسارت فى سبيل الفوز، ولعرف كيف يدبر دفة السفينة بمهارة وكفاية.

قد يكون لعرابى بعض الشبه بغاريبلدى فى قلة المحصول العلمى السياسى.. ولكن غاريبلدى كان يترك لرجال السياسة تصريف المعضلات السياسية. أما عرابى فكان على جانب من الاعتداء بالنفس، إذ كان سعتقد فى نفسه القدرة على تصريف الشئون السياسية كافة.. ولو أنه استعان برجل من معاصريه قدير فى شؤون السياسة، كشريف باشا، ولكن ممكنا أن تسير الثورة فى سبيل النجاة إلى النهاية. ولكنه على العكس قد عمل على التخلص منه حتى أقصاه عن الوزارة كما بينا فى موضعه.

ومما يؤسف له أن عرابى كان على جانب كبير من الغرور.. وقد كان ذلك من العوامل الفعالة فى اتجاهه السياسى، فمن ذلك أنه حين تحفزت إنجلترا لضرب الإسكندرية أبان له بعض مواطنيه ضرر الحرب وسوء مستقبلها، فكان يقول: "أنا أقوى من دولة الإنجليز ودولة فرنسا"، وقال: "إن الطوابى والعساكر المصرية لا تقاوم الإنجليز فقط، بل جميع الدول مدة ثلاث سنين.. بحيث لا يمكن لأحد الدخول إلى مصر".

وكان ظنه أن الإنجليز لا طاقة على قتال البر، وأن قوتهم محصورة فى البحر، وفى ذلك كان يردد هو وأنصاره كلمتهم المأثورة "الإنجليز كالسمك.. إذا خرج من البحر هلك" وهذا من الغرور الناشئ عن الجهل لا محالة.

وكان يصرح بأنه لـن يخضع لأوربا أو لتركيا، ويقـول فى هذا الصدد: "فليرسلـوا لنا جيوشـا أوربية أو هندية أو تركـية.. فإنـى ما دمت وبى رمق فإنى سأدافع عن بلادى، وعندما نموت جميعا يمكنهم أن يمتلكوا البلاد وهى خراب".

ولم يكن هذا من الواقع فى شىء..

ثم أنه لم يكن أيضا على حظ كـبير من الكفاية الحـربية، لأنه لم يتلق تعليما عسكريا نظاميـا، ولم يتمرن على ضـروب القتال، ولا خاض غـمار الحروب فى ماضيه قبل القورة، ولا فى حروب نـفسها، فإنه لم يتول خلالها أية قيـادة فعلية.. بل كان يـتدب غيره من القـواد ليحمل عـبئها فى مـيادين القتال..

ففى ضـرب الإسكندرية لم يباشـر الدفاع عن الحـصون كـما رأيت مما أوضحنا، ولما نسحب إلى كفر الدوار عهـد بقيادة الجيش المرابط بها إلى طلبة باشـا عصـمت. ولما تحـرجت الحال فى الشـرق وانتـقل إلى رأس الوادى لم يتسلم زمام القـيادة فى معركة القصـاصين التى كانت أشد معـركة نشبت بين المصريين والإنجليـز، بل عهد بهـا إلى الفريق راشد باشـا حسنى واللواء على باشا فهمى، وترك القيادة فى معركة التل الكبير إلى على باشا الروبى.

ومع أنه كان مثال الشجاعة والجرأة فى الدور الأول من الثورة، فإن هذه الشـجاعـة لم تلازمـه مع الأسف فى وقـعة التـل الكبيـر، ولا فى التـسليم والمحاكمة.

فشخصية عرابى كـانت تجمع بين المحاسن والأضداد، حقا أن الرأى فى

شخصيته قد يتغير لو كتب له الفوز إلى جانب مزاياه ومحاسنه، وهكذا شأن الحوادث والأحداث، لها دخل كبير فى تقدير الرجال والأشخاص.

والناس من يلق خيرا قائلون له

ما يشتهى، ولأن المخطئ الهبل

أسباب إخفاق الثورة

فلنتكلم الآن عن أسباب إخفاق الثورة العرابية، فلعلها تلقى بعض الضوء على شخصية عرابى الظروف التى اكتنفت الثورة والأسباب التى أدت إلى إخفاقها، ولعل هذه الأسباب تخليه من مسؤلية هذه الإخفاق.

إن لإخفاق الثورة العرابية عوامل عدة، بعضها داخلى وبعضها خارجى.. وأول العوامل الداخلية هو الإنقسام الذى وقع فى الصفوف بين العرابيين والخديو توفيق باشا. فإن هذا الإنقسام جعل من البلد معسكرين متحاربين، معسكر الثورة ومعسكر الخديو، فوقع الاصطدام بينهما، وتفاقهم أمره. وانتهز الإنجليز فرصة وجوده، وما أدى إليه من ضعف وتخاذل، فحققوا أغراضهم الاستعمارية بالتدخل فى شؤون البلاد ثم احتلالها، ولو عولجت أسباب الفرقة والانقسام بالحكمة وحسن السياسة لسارت الثورة على صراطها المستقيم ونجت البلاد من الاحتلال.

صحيح أن الثورة فى ذاتها بدأت بالتصادم مع الخديو، فما وقعة قصر النيل ثم وقعة عابدين، إلا مظاهر لهذا التصادم وذلك الانقسام.. فكيف يمكن إذن تعليل إخفاق الثورة بالإنقسام وهو هو منشأ الثورة؟

نقول نعم.. إن الثورة ظهرت أول ما ظهرت بالتصادم مع الخديو.

وهى وليدة هذا التصادم أو هذا الانقسام، ولكن الحكمة كانت تقتضى بعد إجابة مطالب عرابى وصحبه فى وقعة عابدين ونزول الخديو على إرادتهم أن يعالجوا الشؤون العامة بالأناة والتريث، ويعلموا على رأب الصدع وتوحيد الكلمة وإزالة أسباب الفرقة والخلاف بينهم وبين الخديو، ولكنهم على العكس لم يأبهوا لهذه الناحية.. وداخلهم الشيء الكثير من الغرور، حتى كان من أمره أن اعتزم العرابيون خلع الخديو، وتحدثوا فى ذلك علنا، وهذا أقصى مظاهر التنازع والشقاق بين أبناء البلد الواحد.

كان لهذا الانقسام من العواقب الوخيمة مالا يغيب عن البال، فقد أدى إلى التخاذل فى ساعة الخطر، وتضعضع قوة المقاومة.. بل هو السبب المباشر للاحتلال البريطانى، إذ أن الإنجليز تذرعوا إلى هذا الاحتلال بدعوى تأييد سلطة الخديو وحماية العرش، فجاسوا خلال الديار وحاربوا العرابيين، وكان فى صف الإنجليز معسكر الخديو والحكومة. وكان يجدر بعرابى وزملائه زعماء الثورة أن يتداركوا هذه الحالة، ويتلافوا أسباب الإنقسام تفاديا من التدخل الأجنبى. ولم يكن لهم عذر فى أن يجهلوا المطامع الاستعمارية التى تكتنف مصر.. فإن حوادث ذلك العصر والعصر الذى سبقه كانت تكشف عن نيات إنجلترا فى تطلعها إلى احتلال وادى النيل. ولقد تجلت هذه النيات منذ حاربت نابليون فى مصر سنة ١٧٩٨، وحين أسس محمد على الدولة المصرية الحديثى فحردت سنة ١٨٠٧ تلك الحملة التى باءت بالخيبة والخذلان. وما فتئت تعمل على تحقيق اغراضها الاستعمارية فى عهد محمد على وخلفائه. وكان شراءها أسهم مصر فى قناة السويس سنة ١٨٧٥ الخطوة الأولى نحو الاحتلال.. فهذه الحوادث وغيرها كان من شأنها أن تبصر

العرابيين بالخطر الذى يتهدد البلاد، وتدعوهم إلى تلافى أسباب الانقسام الذى لاشك فى أنه يوهن قواها فى ساعة الخطر. وكان لهم من الاحتلال فرنسا تونس سنة ١٨٨١ نذير بما تستهدف له مصر من مطامع الاستعمار الأوربى عامة. وكلنهم لم يتبصروا فى العواقب، فمهدوا السبيل إلى إخفاق الثورة وقوع الاحتلال.

فالانقسام هو أول العوامل فى إخفاق الثورة.

يليه تأثير الزعماء فى تطور الحوادث.. فلقد كانت تنقصهم الخبرة السياسية، وهذا النقص وحده يكفى لإخفاق أية ثورة فى مختلف البلدان.

وقد حرمت الثورة ايضا الكفاية الحربية، مما بدا أثره فى المعارك التى نشبت بين الإنجليز والمصريين، لو كان على رأس الثورة قائد كفء لتغير مصير الوقائع الحربية فيها. ولكنها مع الأسف لم توفق إلى قواد أكفاء، وقد تجلى عدم الكفاية الحربية فى أحجام عرابى وصحبه عن سد قناة السويس عند ابتداء القتال. وهذا المثل وحده يدلك على جهل تام بفنون الحرب، لأن سد القناة كان أول ما يجب عمله بلا تردد لكى يضمن الدفاع عن مصر كما تقدم بيانه. ولو سدت القناة فى الوقت المناسب لطال أجل الحرب ووجدت مصر الوقت الكافى لتنظيم وسائل الدفاع، لأن الأمة كانت مستعدة لبذل كل تضحيه للدفاع عن كيانها.. ولكن الخطأ يرجع إلى زعمائها السياسيين والحربيين.

وثمة عامل آخر كان له أثره الكبير فى إخفاق الثورة، هو قلة البطولة والتضحية.. فقد رأيت الميدان دون جهاد عرابى فى وقعة التل الكبير، وكيف ترك الميدان دون جهاد أو نضال، وكيف سلم نفسه للإنجليز وكيف كان موقفه أثناء المحاكمة وبعدها.

كان هذا التسليم والخضوع من أكبر العوامل فى إخفاق الثورة وانجلالها، لأن الأمم تتأثر حتما بنفسية زعمائها وموقفهم. . فمواقف التضحية والبطولة تبعث فى الأمة روح التضحية والبطولة، ومواقف التسليم والخضوع تقضى على هذه الروح حتى فى النفوس التى كانت مشربة بها، أو مستعدة لها.

فالزعامة تطبع الأمة بطابعها، أن خيروا فخير وإن شرا فشر. . ولذلك لا تعجب من ضعف المقاومة التى قيها الإنجليز حين احتلالهم مصر، فإن زعماء الثورة كانوا أول من استسلم فى ساعة الخطر. وقد ظهر ضعفهم النفس فى المحاكمة، إذ أخذ كل منهم يتنصل من تبعة الثورة، وتبين من موقفهم أنه كان ينقصهم الإيمان والعقيدة. . وهما أساس النجاح لكل دعوة وكل عمل. ولو أنهم ضربوا للأمة المثل العليا فى التضحية والشجاعة والإقدام لكانت الثورة العرابية فى دورها الثانى صفحة مشرفة من تاريخ مصر القومى. كما كانت فى دورها الأول. ولكن أية مقاومة تنتظر بعد أن ترى الأمة زعماءها يتركون ميدان القتال ويلقون أسلحتهم خاضعين مستسلمين؟!

لا شك أن هذا الموقف وحده من أهم الأسباب فى إخفاق الثورة العرابية. . ولو أن عرابى وصحبه قاوموا وقاتلوا فى التل الكبير لكان لهذه الوقعة ولو انتهت بالهزيمة صبغة أخرى غير الصبغة التى طبعت بها. ولو أنهم أدوا واجبهم لاستمرت المقاومة عهدا طويلا، ولبعثوا فى البلاد من أقصاها إلى أقصاها روح البذل والتضحية.

قد تقوم فى بعض البلاد ثورات تنتهى بالهزيمة. . برغم ما يبذل فيها من جهود وتضحيات. ذلك حين تتغلب عليها صفحة مشرفة من كفاح الأمة فى سبيل حريتها واستقلالها، وهى بما يتخللها ويزينها من البطولة والشجاعة

والتضحية، تبعث فى الأمة دما جديدا، يجدد من حيويتها، ويزيدها قوة ومرانا على الكفاح والمقاومة. وتظل صفحة جهادها مثلا عاليا تحتذيه الأجيال المتعاقبة فى افتداء الوطن بالنفس والمال..

ومن العوامل الداخلية فى إخفاق الثورة سياسة الخديو توفيق.. فهو لم يكن مؤمنا بالشورى ولا موقنا بحق الأمة فى الدستور. وعلى ما كان عليه من الضعف والتردد، فإنه كان يميل إلى الحكومة المطلقة يستأثر فيها بالسلطة هو وحاشيته والمقربون إليه. ولم يكن يعترف لغير هؤلاء بالنفوذ والسلطان، اللهم إلا لممثلى الدول الأجنبية، فإنه كان يحرص على كسب ودهم وثقتهم.

ومن هنا جاء خضوعه لرغبات معتمدى إنجلترا وفرنسا منه الدولتان تكأة لمحاربة الثورة. فقد استغلتا ميوله الخاصة وكراهيته للثورة ففاجأتا البلاد بمذكرة ٧ يناير سنة ١٨٨٢ التى تقدم الكلام عنها. ولما اشتد الخلاف بينه وبين وزارة البارودى فى حادثة مؤامرة الضباط الشراكسة بدأ انحيازه إلى التدخل الفرنسى بشكل واضح. ولما انسحبت فرنسا من الميدان استمر انحيازه إلى جانب التدخل الإنجليزى.

وكان للعوامل الخارجية أثر كبير فى إخفاق الثورة العرابية.. وأهمها المطامع الاستعمارية الأوربية، وبخاصة الإنجليزية، ففرنسا وإنجلترا كانتا تطمعان فى توسيع نفوذهما فى مصر. ومن هنا جاء سخطهما على الثورة وكراهيتهما قيام حكومة دستورية فى البلاد. ولقد رأيت كيف ائتمرتا بالحركة الوطنية، ووضعتا العقبات والعراقيل فى سبيلها، وكيف بدأت نياتهما السيئة نحوها بمذكرة ٧ يناير سنة ١٨٨٢، تلك المذكرة التى تنطوى على إثارة العدواة والبغضاء بين الخديو والأمة، وكيف أعقبتا تقديمها بالمعارضة فى تخويل

مجلس النواب حق تقرير الميزانية، مما أدى إلى سقوط وزارة شريف باشا.. ثم انتهازهما فرصة الانقسام الذى وقع بين الخديو والعرابيين وإرسالهما أساطيلهما إلى مياه الإسكندرية، ثم تدخلهما بالفعل وتقديمهما بلاغهما النهائى بإقالة وزارة البارودى وإبعاد زعماء الثورة، ورفض العرابيين هذه المطالب، وقبول الخديو إياها.. مما أدى إلى استقالة وزارة البارودى وانفجار بركان السخط على الخديو.

فالسياسة الاستعمارية الإنجليزية والفرنسية كانت من أكبر العوامل فى إثارة الانقسام بين الأمة والخديو.. وأعقب هذا الانقسام انسحاب فرنسا من الميدان وانفراد إنجلترا بالتدخل لتحقيق مطامعها الاستعمارية فى مصر، وقد رأيت كيف نفذت برنامجها الاستعمارى بضرب الاسكندرية وإنزال جنودها إلى البر.. فكان ذلك بدء الحملة التى قضت على الثورة وعلى الاستقلال.

أضف إلى ذلك جمود أوروبا حيال الاعتداء البريطانى، وسوء نية تركيا نحو مصر منذ قيام الثورة، وسعيها الأخرق فى استرداد الاستقلال الذى نالته مصر. وما ظهر منها من التذبذب والنفاق، والتظاهر تارة بمناصرة العرابيين، وطورا بتأييد الخديو، وانضمامها أخيرا إلى جانب الإنجليز بأعلانها عصيان عرابى والحرب قائمة.. فكان هذا الإعلان ضربة شديدة للثورة، وعضدا كبيرا للحملة البريطانية.

كل هذه العوامل التى اجتمعت على مصر كان لها الأثر البالغ فى إخفاق الثورة.. وكان لضعف السياسة الفرنسية ترددها حيال المسألة المصرية وترك الإنجليز يتدخلون، وحدهم فى شؤون البلاد أثر كبير فى تطور الحوادث، إذ انتهزت إنجلترا هذه الفرصة وانفردت باحتلال مصر وإخماد الثورة وتثبيت قدمها فى البلاد.

وليس من السهل على أمة تثور للحرية أن تتغلب على كل هذه العوامل مجتمعة، ما لم تؤت قوة الجبابرة، أو عقول العباقرة.. وأنك لترى أن أكثر الأمم التى ثارت من أجل حريتها واستقلالها كان لها، على العكس، من العوامل الخارجية ما ساعدها على تحقيق آمالها. فالثورة الأمريكية لم تدرك ما نالته من النجاح ولم تحقق استقلال الولايات المتحدة إلا بعد أن عاونتها فرنسا بجيشها وأسطولها. وإيطاليا لم تحقق وحدتها وتتحرر من النيران النمسوى إلا بمعاونة روسيا وفرنسا وإنجلترا. وكذلك الأمم البلقانية عامة لم تنفصل عن تركيا وتحقق استقلالها بمساعدة أوربا.

أما مصر فإنها لم تحرم المعاونة من الخارج فحسب.. بل تألبت عليها العوامل الخارجية وعاونت إنجلترا على تحقيق أطماعها الاستعمارية.

ويقيننا أن العوامل الخارجية كانت أقوى من العوامل الداخلية فى إخفاق الثورة العرابية.